وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة السادسة

الإيمان

عباد الله ما زلنا مع أحاديث ومع قصص السيرة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام، ما زلنا مع هذا النور الوهاج الذي أفضى إلى ظلمات البشرية فانجابت كما ينجاب الغمام، ما زلنا مع هذا الهدى الذي أرسله الله إلى الإنسانية فانتشلها من ضيعة وهلاك، ما زلنا مع هذه السيرة المباركة التي نريد منها بإذن الله شيئا ينمي الإيمان في قلوبنا، ويلهب الكفاح في أعمالنا، ويزكي الأخلاق في نفوسنا.

فبين نفحات العطر وومضات الإشراق نستكمل بإذن الله تعالى سيرة عظيم الأخلاق سيدنا محمد عليه السلام.

كنا قد تكلمنا في السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، ووصلنا إلى هذه المحاور التي بنى عليها بنو الكفار طريقتهم للصد عن سبيل الله من تعذيب، من تشريد، من تكذيب، من تلفيق، وما إلى ذلك مما فعلوا، ولكننا وجدنا أن النبي عليه السلام ومعه الصحب الكرام وقفوا أمام هذه المحاور ثابتين بتربية سديدة واضحة رباها النبي عليه السلام للصحابة رضي الله عنهم.

هذه المقطوعة من السيرة مع أنها انتهت إلا وأننا في حاجة ماسة لنعلم كيف ثبت هؤلاء، وما تلك التربية التي ربى النبي عليه السلام الصحابة عليها فوقفوا وقفة عجيبة عظيمة سطرتها كتب التاريخ.

الذي فعله النبي عليه السلام مع الصحابة ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين هو أنه رباهم على ثوابت لا تبديل فيها إلى يوم القيامة، رباهم على ثوابت لا اجتهاد فيها ولا تفكير فيها، ولا عصر ولا مصر يغير هذه الثوابت، هذه الثوابت تسمى عقيدة، هذه الثوابت تسمى إيمان، رباهم على عقيدة شريفة صالحة صحيحة، تمتلك هذه العقيدة تلك الثوابت، وليس

هذا فقط، بل بين النبي عليه السلام أن أي نهج غير هذا النهج لا يجوز ولا يكون فيه خير، لما تكلم النبي عليه السلام عن افتراق الأمم وافتراق اليهود وافترق النصارى، قال النبي عليه السلام: **"افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ؟قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي"**[1].

إذن فالنبي عليه السلام ربى الصحابة على نهج قويم، وعلى ثوابت راسخة، وعلى عقيدة جازمة، وعلى إيمان راسخ في قلوبهم، هذا هو الذي ثبتهم أمام هذا الطوفان من فعل بني الكفار، وبَيَّن الله سبحانه وتعالى هذا الأمر حتى يكون حجة على كل من انتسب إلى الإسلام، يخاطب الصحابة ونسمع نحن ونخاطب بهذا الخطاب، ﴿**فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾**﴾ [البقرة: ١٣٧]، بَيَّن الله عز وجل قائلا للصحابة ما مفهومه: لو هؤلاء آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها الصحابة، وبمثل ما رباكم عليه النبي، وبمثل هذه الثوابت الراسخة؛ فقد اهتدوا، وإن تولوا؛ إنما هم في شقاق.

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، هذه هي عقيدة المسلمين التي لا يتخلى عنها المسلمون، وهذه هي الثوابت الراسخة التي لا ينفع ولا يجوز أبدا أن تتزحزح، وتلك هي الثوابت التي كل من هب ودب يريد أن يزحزح جزءا منها، ولكن هيهات هيهات، إنها ثوابت في كتاب الله تعالى وفي السنة الصحيحة عن نبينا، هذه هي العقيدة، العقيدة ما يعقده الإنسان بحزم، وقوة، ورسوخ، هذه الثوابت أيها الإخوة المسلمون، أو هذه العقيدة، أو

[1] رواه أبو داود وابن ماجه رحمهما الله، وقال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣٤٥/٣): "الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ فِي السُّنَنِ وَالْمَسَانِدِ؛ كَسُنَنِ أَبِي دَاوُد وَالتِّرْمِذِي، وَالنَّسَائِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَفْظُهُ ...".

هذا الإيمان هو ما كان عليه الرسل في من سبق النبي عليه السلام، والأمم في من سبقت أمة نبينا محمد عليه السلام ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، فكل هذه الأمم وكل هؤلاء الأنبياء أرسل الله ﷻ إليهم تلك الثوابت التي ربى عليها النبي عليه السلام صحابته، أما في الأمور العملية والتشريعات العملية ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨]، كل أمة لها شريعة على حسب وصفها، وعلى حسب المجتمع والعصر الذي هي فيه، أما الثوابت، والعقيدة، والإيمان فلا تختلف باختلاف نبي، ولا تختلف باختلاف أمة، ولا تختلف باختلاف عصر ولا مصر، ولا أي شيء، أما الأمة الإسلامية فمن بعثة النبي عليه السلام إلى يوم القيامة الثوابت راسخة، واضحة، ثابتة، والتشريع العملي راسخ، واضح، ثابت، فالتشريعات العملية تختلف من أمة إلى أمة، أما في الأمة الواحدة لا تختلف، فصلاتنا كصلاة النبي عليه السلام، وزكاتنا كزكاة النبي عليه السلام، وصيامنا كصيام النبي عليه السلام، ومعاملتنا كمعاملات النبي عليه السلام.

هذا ما نقوله أيها الإخوة المسلمون، هو ذات الإيمان الذي قال عنه النبي عليه السلام: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**"[1]، ستة أصول ثبتها الرسول عليه السلام في قلوب الصحابة، وهذا ما يسمى بأركان الإيمان.

والإيمان أيها الإخوة المسلمون عباد الله هو: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

ولكي يكون الإنسان مؤمنا لا بد وأن يصدق بقلبه أنه لا إله إلا الله، وأنه لا معبود بحق لا إله إلا الله، وأن الرسول عليه السلام أرسل من عند الله، وأن القرآن الكريم هو كتاب الله،

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨)، وروى البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٧٧٧): "**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**".

كل ذلك يؤمن به بقلبه، يصدقه بقلبه ولا يطلع على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو التصديق بالجنان، وقول باللسان: أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، أي أقر وأعترف أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن الرسول عليه السلام أرسل من عند الله.

وعمل بالأركان، ولا يستقيم أبدا ولا يعقل أن يؤمن إنسان بربه، وبرسوله، وبكتابه، وينطق بذلك ولا يعمل؛ لا يصلي، ولا يصوم، ولا يزكي، ولا يفعل شيئا من هذا، بل الأعمال تكون موجودة في مسمى الإيمان ولهذا يقول النبي عليه السلام: "**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**"[1].

إذن فالإيمان أعماله كثيرة؛ الصلاة، الزكاة، الصيام، الذكر، المعاملة الحسنة، وما إلى ذلك، كل هذا من شعب الإيمان، ولهذا فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص في قلة الطاعة، فكلما قل الإنسان في طاعته قل في إيمانه، ولهذا يجد بعضنا عنده قوة وعنده رغبة جامحة في بعض الأحيان عندما يؤذن للصلاة أو أي عمل صالح للقيام بهذه الأعمال، ذلك لأن منسوب الإيمان في قلبه قد زاد، فالإيمان يزيد وينقص، وأحيانا يجد نفسه لا يريد هذا العمل، مع أنه كان يريده أمس ذلك؛ لأن منسوب الإيمان في قلبه قد قل، وهذا الإيمان إذا أردت الزيادة فيه فعليك بكثرة الطاعات.

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، هذه الأركان التي قلتها لحضراتكم آنفا، أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذه أركان الإيمان، على المسلم أن يعرفها وأن يؤمن بها.

وهنا أريد أن أركز على أمر هام وهو: أن كل مؤمن مسلم، وأنه ليس كل مسلم مؤمنا، بمعنى: الإيمان يختلف عن الإسلام وذلك عند الله ليس عندنا نحن، يكفي في معاملات المسلمين بعضهم بعضا الأمر الظاهر، يكفي أن يقول المسلم: أنا مسلم، أو أشهد أن لا

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٥)، وروى البخاري رحمه الله في صحيحه (٩): "**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**".

إله إلا الله محمد رسول الله، أو يصلي، يكفي بذلك عندك أنت أن تحكم عليه بالإسلام، لا تحكم على باطنه، فحكم الباطن عند الله ﷻ، فكون أن الإيمان ليس كالإسلام هذا لا يخصك في غيرك، وإنما يخصك في نفسك، بمعنى: إذا قلنا إن هؤلاء مؤمنون، معناه: أنهم مسلمون مؤمنون، ولو قلنا: إن هؤلاء مسلمون، معناه: أنهم مسلمون مؤمنون، أما إذا اقترن الإيمان بالإسلام، فقلنا: هؤلاء مؤمنون مسلمون، فمعنى الإسلام هنا الاستسلام الظاهر لله أي شكلك الظاهر مسلم، تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، أما الإيمان فمعناه إذا اقترن بالإسلام هو الاستسلام الباطن، شيء في الباطن لا يعلمه إلا الله.

فإذن لما يقول أحد على مسلم أنه: منافق، أو كافر، أو أنه في النار؛ فهو في خيبة عظيمة، أني لك أن تعرف ما في باطنه؟

نعم عندما سطر الله ﷻ الفرق بين الإيمان والإسلام، ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ** ﴾ [الحجرات: ١٤]، فرق بين الإيمان والإسلام لكن من الذي علم أن هؤلاء الأعراب أسلموا و لم يؤمنوا؟ هو الله ﷻ وأبلغ ذلك للنبي عليه السلام.

فإذا فعل المسلم شيئا، أو قال شيئا، أو انحاز إلى أحد، ثم قلت أنت: إنه ليس بمسلم، إنه منافق، فنخشى عليك يا حبيبنا أن تتعرض لقول النبي عليه السلام مبينا: "**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**"[1]، "**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ؟!!**"[2]، من هذا الذي يقول أن هذا في الجنة وهذا في النار؟ كيف لك أن تقول: إن هذا منافق؟ وكيف تحكم عليه بالنفاق وأنه يدخل النار؟ من هذا الذي يتألى على الله؟ فالله هو العليم، إذن في معاملتنا بعضنا بعضا لا يحكم أحدنا على أحد إلا بالإسلام ما دام أنه مسلم، أما الله ﷻ فهو الذي عنده الحكم، ولا شأن لنا بذلك، ولكن معرفتنا بالإيمان ذلك ليعلم المسلم مكانه هو في حظيرة المؤمنين.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦١٠٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٦٠).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦٢١).

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، هذه المعرفة وهذه الثوابت هي التي بَيَّنها النبي عليه السلام، وربى الصحابة رضي الله عنهم عليها.

الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذه

الأركان يكفي للمسلم أن يعرفها وأن يؤمن بها على سبيل العموم، ليس شرطا للمسلم لكي يكون مؤمنا أن يعرف كل دقيقة من هذا، يكفي أنه يؤمن بهذا على سبيل العموم، يكفي للمسلم أن يقول آمنت بالله سبحانه وتعالى، آمنت بكل حرف في كتاب الله سبحانه وتعالى، آمنت بكل حكم بينه النبي عليه السلام، يكفي أن يعرف رتوشا أو أشياء بسيطة في هذا، لكن يعلم جيدا أنه كلما تعلم؛ علم، وكلما علم؛ ازداد الإيمان في قلبه وأحب الله سبحانه وتعالى؛ لأنه آمن به، وأحب ملائكته؛ لأنه آمن بهم، وسار خلف رسله؛ لأنه آمن بهم، وما إلى ذلك من هذه الأركان.

الإيمان بالله أن تفرد الله في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسماءه وصفاته.

توحيد الله في ربوبيته: أي توحيد أفعاله؛ فلا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله، فكل فعل يفعله الله تؤمن أنت أيها المؤمن أنه لا يفعله إلا الله، وأنه لا شريك معه في ربوبيته.

وهذا الفهم الواضح لم يضل عنه كفار قريش، بل آمنوا به ولم يشركوا في الربوبية، أبو جهل لم يشرك في توحيد الربوبية، بل بين الله سبحانه وتعالى ذلك قائلا: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ**﴾[لقمان: ٢٥]، أي: لو سألت يا محمد الكفار: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله، فهم لم يشركوا في ربوبيته، الذين أشركوا في ربوبيته أتوا بعد ذلك، كهؤلاء الذي يقولون: إن للكون أقطابا يتحدون ويساعدون الله في الرزق وما إلى ذلك من هذه الفرق الضالة، أو كالدهرين أو الشيوعيين الذين لا يؤمنون

بوجود رب أصلا، وقالوا: ما هي إلا أرحام تدفع وقبور تبلع، هؤلاء الذين ما زال لهم أثر في هذه البشرية مع هذا العلم وهذا التقدم، لم يصلوا إلى ما وصل إليه ذلكم الرجل الأعرابي الذي لا حضارة عنده ولا علم عنده، هو يسير في البادية وقد يكون حافيا في صحراء جرداء، لما عرضت عليه هذه القضية، هل يوجد رب؟ فقال هذا الأعرابي البسيط: «**يا سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْبَعْرَةَ لَتَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَإِنَّ أَثَرَ الْأَقْدَامِ لَتَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ؟ أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى وُجُودِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟**»[1].

ولما ناظر أحدُ الملحدين أحدَ المؤمنين كانت المناظرة واضحة سهلة، هؤلاء الملحدون لا يؤمنون برب، يقول الملحد للمؤمن: هل أنت مؤمن؟ قال: نعم.

قال هل تؤمن بالله؟ قال نعم، قال: هل رأيته؟ قال: لا، قال: هل سمعته؟ قال: لا، قال: هل لمسته؟ قال: لا، قال: كيف تؤمن بالله؟

فقال المؤمن للملحد: هل أنت عاقل؟ قال: نعم، قال: هل لك عقل؟ قال: نعم، قال: هل رأيته؟ قال: لا، قال: هل سمعته؟ قال: لا، قال: هل لمسته؟ قال: لا، قال المؤمن: لم إذن تقول إنك عاقل؟ فبهت الذي كفر.

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، إن توحيد الرب يجعلك في راحة ما بعدها راحة، فهو الرزاق ﷻ، تؤمن بذلك في قلبك أنه هو الرزاق، لا رزاق معه، لن يرزقك أحد مع الله سبحانه وتعالى، تخيل لو أنك توطن في قلبك أنه لا رازق مع الله، وأن الله هو الرزاق، فكيف تكون حالتك؟! وكيف يكون قلبك؟! سيكون في أعلى عليين.

إن توحيد الربوبية بهذا الفهم فَهَّمَه النبي عليه السلام الصحابة رضي الله عنهم، فعلموا أن الله هو المحيي المميت، فكيف نخاف من بني الكفار؟!

---

[1] تفسير ابن كثير رحمه الله (١٩٧/١).

أما توحيد الألوهية: هو إفراد الله بأفعال العباد، فكل عبادة يعبدها العبد يفردها لله، فلا صلاة إلا لله، ولا صيام إلا لله، ولا زكاة إلا لله، ولا ذكر إلا لله، ولا خشوع ولا خضوع إلا لله، ولا يقين ولا توكل إلا على لله، وهذا المفهوم أيها الإخوة المسلمون ضل فيه من ضل من كفار قريش ومن بعدهم، ضلوا في توحيد الألوهية، وليس المقصود في الضلال بتوحيد الألوهية والشرك فقط أن يعبد الإنسان صنما مع الله، هذا ما فعله المشركون في القدم، ولكن ليس هذا بمفرده مفردات الشرك، فالضلال في توحيد الألوهية هو أن تصرف بعض العبادة لغير الله، فلو صليت لغير الله فهذا من الشرك، ولو زكيت لغير الله فهذا من الشرك، فكل عبادة يجب أن تكون لله، فتعطي زكاة المال للفقراء، ولكن من أجل الله وحده، وتصلي لله سبحانه وتعالى، وتصوم لله سبحانه وتعالى، ولهذا من وقر في قلبه توحيد الألوهية يجد قلبه في صفاء دائم، وتتلاشى عنده هذه الشركيات بتوحيد الألوهية كالرياء، يقول النبي ﷺ: **"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ"**[1]، فما دمنا قلنا إن توحيد الألوهية ألا تصرف شيئا من العبادة لغير الله، فالرياء في صرف بعض العبادة لغير الله، فمن صلى ابتغاء وجه الناس، ومن زكى حتى يقال عليه منفق، ومن ذهب للحج ورجع حتى يقال عليه كذا وكذا؛ فكل ذلك من الرياء، وهو يضاد توحيد الألوهية.

كذلك أيها الإخوة المسلمون عباد الله من الأشياء التي تضاد توحيد الألوهية أن تتخذ سببا لم يتخذه الله، أي لم يشرعه الله شرعا أو حسا بأنه ينفع أو يضر، فلا نافع ولا ضار إلا الله، ولكن الله جعل أسبابا شرعية مثل العسل، فقد جعل الله فيه شفاء للناس، وكذلك الحبة السوداء شفاء من كل داء، وكذلك الرقية وما إلى ذلك، هذه أسباب جعلها الله لرفع الضر ولجلب النفع، إذن فهي أسباب تتخذ وتحترم، كذلك الأسباب الحسية التي أحسها الناس كالدواء، عندما يمرض المريض فإنه يحتاج إلى دواء، أو يكسر

[1] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٣٦٣٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٥٥).

ذراع أو ما إلى ذلك فيحتاج إلى تجبير، فهذه من الأسباب الحسية التي أقرها الشرع لأنها مباحة، أما إذا اتخذت بعد ذلك سببا غير مشروع شرعا أو حسا؛ فقال العلماء: هذا من الشرك، لِمَ؟ قالوا: لأنك اتخذت سببا كما اتخذ الله أسبابا.

ولهذا لما رأى النبي عليه السلام على أحد المسلمين حلقة من صفر فقال له: "**وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**"[1]، وهذا الحديث ضعفه بعض العلماء لكن يعضد هذا الفهم حذيفة رضي الله عنه الذي دخل على مريض: "**فَرَأَى فِي عَضُدِهِ سَيْرًا، فَقَطَعَهُ أَوِ انْتَزَعَهُ، ثُمَّ قَالَ:** ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف: ١٠٦]"[2].

كذلك عباد الله أن توحيد الألوهية يجعلك تضع كل أحد وكل مخلوق عند حده؛ لأن العبادة كلها لله وحده، يقول النبي عليه السلام: "**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**"[3]؛ نعم امدح النبي وصل عليه، ولكن لا ترفعه من مرتبة العبودية، هذا تقوية لجناب التوحيد، إذ ليس من الإيمان أن تفعل شيئا نهى عنه الشرع الحنيف.

ولهذا أيها الإخوة المسلمون عباد الله لما كان النبي في غزوة أحد يحارب الكفار وهم معاندون، كافرون، مشركون، محاربون، مقاتلون ثم شجوا رأس النبي ثم كسروا أسنانه فقال النبي عليه السلام: "**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ** ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾"[4]، جناب التوحيد وقوة توحيد الألوهية تمنع ذلك، فالله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد، وهو الذي يعلم من سيفلح ومن سيضل.

---

[1] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٠٠٠٠)، وصححه الهيتمي المكي رحمه الله في الزواجر (١/١٦٦)، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الترغيب (٢٠١٥).

[2] أخرجه ابن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره (١٢٠٤٠)، وقال ابن باز رحمه الله في الفوائد العلمية (٣/١٨٢): [فيه] عاصم بن أبي النجود صدوق، وعاصم الأحول ثقة، وعزرة ثقة كذلك، ومحمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب لا أعرف حاله، راجعته قديمًا، لا بأس به، والباقون معروفون.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٤٥).

[4] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٩١).

ولهذا سيدنا عمر لما وقف أمام الحجر الأسود قال: "**وَاللَّهِ إِنِّي لَأُقَبِّلُكَ وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ**"[1].

وكذلك لما كان النبي ﷺ مع الصحابة في غزوة حنين، كان للكفار شجرة تسمى ذات أنواط، وكانوا يضعون عليها أسلحتهم ويتباركون بها لينتصروا، فقال المسلمون للنبي ﷺ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: "**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**"»[2].

على مثل هذا الثوابت التي لم نستكملها وسوف نستكملها في الخطبة القادمة ربى النبي ﷺ الصحابة، ولهذا وجدنا الصحابة يفعلون أفعالا لا يتصور أن يفعلها إنسان في ما سنسرده في سيرة النبي ﷺ.

فالله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد لا شريك له، الفرد الصمد لا شريك له، واحد في ربوبيته لا شريك له، فرد في ألوهيته لا شريك له، أحد في أسمائه لا شريك له، ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه لا شريك له، ولا إله غيره لا شريك له، لا يفنى ولا يبيد لا شريك له، ولا يكون إلا ما يريد لا شريك له، لا تبلغه الأوهام لا شريك له، ولا تدركه الأفهام، ولا تشبهه الأنام لا شريك له، حي لا يموت قيوم لا ينام لا شريك له.

أيها المسلمون عباد الله علينا أن نتربى على هذه العقيدة الصافية التي ربى عليها النبي ﷺ الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٦١٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٢٧٠).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢١٨٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢١٨٠).